بنية القصيدة في شعر الهجاء عند أبي دلامة

إعداد

منى حمدنا الله سليمان علي

معيدة بكلية دار العلوم جامعة أسوان

ملخص البحث:

افتتاحية القصيدة من الأشياء التي اهتم بها النُّقاد في القديم والحديث، فهي بمثابة المدخل الأساسي لدخول الشاعر إلى أفكار قصيدته، وقد سلك أبو دلامة في افتتاح وبناء شعر الهجاء عنده، طرقًا مختلفة جاءت في بعضها متناسبة مع طبيعة الموضوع الشعري، وتراوحت مقدماته بين ما هو في الغزل، والخمر، والمدح والاستعطاف، ومن قصائده لم يكن لها مقدمات، ولكنه دخل في الموضوع مباشرة.

واتسمت القصيدة العربية منذ الجاهلية بتعدد موضوعاتها، فالقصيدة الواحدة تتناول عدة موضوعات، من فخر وهجاء وغزل، فهذه السمة جعلت أبو دلامة يحتاج لشيء يقوم بمزج تلك الأغراض مع بعضها البعض، دون إحداث تفكك في تركيب الأفكار المكوِّنه للقصيدة لدى المتلقين، فمن ذلك أتى مصطلح الخروج أو التخلص.

وقد أبدع أبو دلامة في الانتقال من غرض إلى آخر ، في شعر الهجاء ابداعًا يجعل القارئ لا يشعر بدخوله في غرض الهجاء.

والشاعر الجيد يجتهد في أن يُحسِّن من مقدمته، والتخلص، وبعد ذلك خاتمته، فهذه المواقف تكون محل اهتمام، وسمع المتلقين، وقد وُفق أبو دلامة في افتتاحية قصائده، وكذلك في حسن تخلصه إلى موضوعه منها، وكذلك اعتنى بخاتمة قصيدته لتكون القصيدة مترابطة الأفكار، ومنسجمة مع بعضها البعض، لتكون كيان واحد ووحدة واحدة، فجاءت خواتيم قصائده ومقطوعاته مناسبة مع الغرض الأساسي ألا وهو الهجاء.

الكلمات المفتاحية :

مقدمة القصيدة، حسن التخلص، الخاتمة.

English Abstract

The opening of the poem is one of the things that critics cared about in the past and the modern, as it serves as the main entrance for the poet to enter the ideas of his poem spinning, wine , praise and sympathy, and some of his poems had no in troductions, but he entered the topic directly.

Since the pre- Islamic era, the Arabic poem has been characterized by the multiplicity of its topics, as one poem deals with several topics, such as pride, satire, and spinning or disposai.

Abu Dulama excelled in moving from one purpose to another in the poetry of satire, acreativity that makes the reader not feel that he is entering the purpose of satire.

And the good poet strives to improve his introduction, disposal, and after that his conclusion, as these situations are of interest and listened to by the recipients, with each other to be one entity and one unit so the endings of his poems and pieces were appropriate with the main purpose, which is satire.

.

مقدمة:

القصيدة هي مجموعة من الأبيات الشعرية ، وضعها الشاعر مرتَّبة، مراعيًا بذلك الأوزان والقوافي وغيرها من الأمور.

"فإذا الأبيات بلغت لسبعة فهي قصيدة...، ومن الناس من لا يعد القصيدة إلا ما بلغ العشرة أبيات وجاوزها ولو ببيت واحد"[١].

"أما المقطوعة الشعرية تتراوح بين البيتين والعشرة أبيات، وهي إطار محدود وضيق يعبِّر فيه الشاعر عن شعور حاد في لحظة من اللحظات، أو خاطر راوده أحيانًا، أو معنى طريف جال بنفسه فاقتنصه دون أن يولد منه ما يصنع قصيدة طويلة، أو أن يتوسع فيه "[٢].

"أما الرجز فهو ثلاثة أنواع ، مشطور، ومنهوك، ومقطع، وليس يمتنع أن يسمى ما كثرت بيوته من منهوك الرجز ومشطوره قصيدة."[٣]

وقد زعم الرُّواه أن الشعر كان كله قطعًا ورجزًا، ولقد قُصِّد في عهد هاشم بن عبد مناف، وكان أول المقصدين امرؤ القيس ومهلهل، وبينهما وبين مجيء الإسلام مائة ونيف وخمسون سنة[٤].

والمقطَّعات لا تقل أهمية عن القصيدة، "فقد يحتاج الشاعر إلى المقطَّعات مثل احتياجه للطوال، فهو عند المنازعات والمحاضرات والملح والتمثل يحتاج إليها أكثر من الطوال"[٥].

---

[١] العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني، ت: محمد محي الدين، ، دار الجيل، ط٥(١٤٠١ه- ١٩٨١م). ج١، ص١٨٨-١٨٩.

[٢] في الأدب العباسي الرؤية والفن، عز الدين إسماعيل، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ص٤١٨.

[٣] العمدة، ابن رشيق، ج١، ص١٨٢- ١٨٣.

[٤] السابق، ج١، ص١٨٩.

[٥] العمدة، ابن رشيق، ج١، ص١٨٦.

وكلما كانت القصيدة قريبة لشكل المقطوعة، أو للقصر، زادت وحدتها الفنية والشعورية[١].

والشاعر إذا رجز وقصد وقطع فهو الكامل، فقد جمع ذلك الفرزدق، ومن الشعراء المحدثين أبو نواس[٢].

وإذا تحدثنا عن شكل قصيدة الهجاء في العصر العباسي، " نجد أن أغلبها كانت مقطَّعات، لأنَّ الهجاء كان يستلزم ذلك ضرورة، وذلك ليبلغ الشاعر بأبياته ومعانيه ، ما يرجوه من سرعة إيلام من يهجوه، وما يريده من سرعة انتشار أبياته بين الناس"[٣].

" لهذا نجد فن الهجاء في القرن الثاني الهجري ، لا يندمج في قصيدة مطولة مع أغراض أخرى كالمدح والفخر، مثل ما كان في الجاهلية، فبذلك تضل معانيه طريقها إلى المهجو وإلى جمهور الناس"[٤]

وأجمع الشعراء على ذلك، "ومذاهب الشعراء في الهجاء تكاد تكون واحدة، لأنهم يرون أنَّ قصر الهجاء أجود، وترك الفحش فيه أصح، إلا جريرًا"[٥]

" قد سئل الفرزدق لماذا اختيارك للقصار يكون أكثر من اختياراتك للطوال، فقال لأنها في رأيه تثبت في الصدور، وتجول في المحافل، وسئل الحطيئة أيضًا لماذا قصارك أكثر من طوالك، فقال لأنها أعلق في أفواه الناس، وأولج في الآذان "[٦].

---

[١] في الشعر الإسلامي والأموي، عبدالقادر القط، دار النهضة العربية، بيروت، ط (١٤٠٧ه-١٩٨٧م)، ص١٣٣.

[٢] العمدة، ابن رشيق، ج١، ص١٨٩.

[٣] اتجاهات الهجاء في القرن الثالث الهجري ، قحطان رشيد التميمي ، دار المسيرة، بيروت، ص٣٢٩.

[٤] اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، محمد مصطفى هدارة، دار المعارف، القاهرة، ص٤٢١.

[٥] الهجاء في الشعر العربي الأندلسي، نافع عبدالله، ط١(١٩٨٤م)، ص١٢.

[٦] الهجاء والهجاءون في صدر الإسلام، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ص١٢٦.

أولًا مقدمة القصيدة:

لقد حدد ابن قتيبة المنهج الذي تقوم عليه القصيدة العربية، والمكون الأساسي لها، وقام بتقسيمها إلى أربعة أقسام، أولها: أن يقف على ديار محبوبته، والبكاء على أهلها الظاعنين، ثانيها: النسيب، وشكوى شدة الوجد، وألم الفراق، وفرط الصبابة، وثالثها: شكوى النصب، والسهر، وسري الليل، ورابعها: المديح، محاولا بذلك إلزام الشعراء أن يتبعوا هذا المنهج في عمل قصائدهم بقوله" فالشاعر المُجيد من سلك هذه الأساليب، وعدَّل بين هذه الأقسام، فلم يجعل واحدًا منها أغلب على الشعر، ولم يُطل فيمل السامعين"[١].

وافتتاحية القصيدة من الأشياء التي اهتم بها النُّقاد في القديم والحديث، فهي بمثابة المدخل الأساسي لدخول الشاعر إلى أفكار قصيدته، " فالابتداء أول ما يقع من كلامك في السمع ، ويعتبر المقطع آخر ما يبقى في النفس من قولك، فلابد أن يكونا جميعًا مونقين"[٢]

وعرفوها بأنها: " ظاهرة من الظواهر الفنية التي صاحبت القصيدة العربية على اختلاف الأمصار التي انتقلت إليها، والعصور التي مرَّت عليها ، وقد تنوعت صورها، وتعددت أشكالها منذ أن بدأ العصر الجاهلي ، فلقد حددوا لها مجموعة من الأسس الفنية ، وكان أشهرها حرصهم على افتتاح قصائدهم بأشكال مختلفة من المقدمات"[٣].

---

[١] الشعر والشعراء، ابن قتيبة، ت: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ج١، ص٧٤-٧٦.

[٢] الصناعتين، أبو هلال العسكري، ص٤٣٥.

[٣] مقدمة القصيدة العربية في العصر العباسي الأول، حسين عطوان، دار المعارف، مصر، ص٢٥٦.

"والشاعر الحاذق يجتهد في تحسين المقدمة، والتخلص، وبعد ذلك الخاتمة، فهي المواقف التي تستعطف أسماع المتلقين"[١].

- **مقدمة القصيدة عند أبي دلامة:**

سلك أبو دلامة في افتتاح وبناء شعر الهجاء عنده، طرقًا مختلفة جاءت في بعضها متناسبة مع طبيعة الموضوع الشعري، فتراوحت مقدماته بين ما هو في الغزل، والخمر، والمدح والاستعطاف، ومن قصائده لم يضع لها بمقدمات، ولكنه دخل في الموضوع مباشرة.

الاتجاه الأول: كانت مقدمة غزلية ، ليجعلها مدخلاً لهجاء زوجته في قصيدته التي يقول فيها[٢]:

إنَّ الخَليطَ أجَدَّ البَينَ فانتَجعُوا يومَ الوَدَاعِ فما جَاؤُوا ومَا رَتَعُوا

واللهُ يعلَمُ أن كادَت لِبَينِهِمُ يومَ الفِراق حَصَاةُ القَلبِ تَنصَدِعُ

الاتجاه الثاني: كانت مقدمة خمرية وتتمثل في قصيدتين أولاهما قوله[٣]:

أَلَم تَرَيَا أنَّ الخَلِيفَةَ لَزَّني بِمَسجِدِهِ والقَصرِ ما لي ولِلقَصرِ

فَقَد صَدَّني عَن مَسجِدٍ أستَلِذُّهُ أُعَلَّلُ فيه بالسَّمَاعِ وبالخَمرِ

كانت هذه البداية مقدمة لهجاء الصلاة

وثانيها قوله[٤]:

---

[١] الوساطة، القاضي الجرجاني، ت: محمد أبو الفضل، علي البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ص٤٨.

[٢] ديوان أبي دلامة، اميل بديع يعقوب، ص٧٨.

[٣] السابق، ص٦٤.

[٤] السابق، ص١٢٩.

أميـــر المـــؤمنين فـــدتك نفســـي ... علام حبستني وخرقـــت ســـاجي
أمن صهباء ريح المســـك فيهـــا ... ترقرق في الإناء لـــدى المـــزاج
عقار مثل عـــين الـــديك صـــرفٌ ... كـــأن شـــعاعها لهـــب الســـراج
وقـــد طبخـــت بنـــار الله حتـــى ... لقد صارت من النطـــف النضـــاح
تهش لهـــا القلـــوب وتشـــتهيها ... إذا برزت ترقـــرق فـــي الزجـــاج

حيث كانت بداية افتتاحية لهجاء عمال الخراج.

الاتجاه الثالث: مقدمة استعطاف، وتتمثل في ست قصائد، منها قوله[١]:

أبلِغِـــي سَـــيِّدَتي بالـــــــ ... ـــــــلَهِ يـــــا أمَّ عُبَيـــــدَه
إنَّهـــا أَرشَـــدَها اللـــــــ ... ـــــــهُ وإن كانَـــت رَشِـــيدَه
وَعَـــدَتنِي قَبـــلَ أن تَخـــــــ ... ـــــــرُجَ لِلحَـــــجِّ ولِيـــــدَه
فَتَأَنَّيـــــتُ وَأَرسَلـــــــــ ... ـــــــتُ بِعِشـــــرِينَ قَصِـــيدَه
كُلَّمـــا أَخلَقـــنَ أخلَفـــــــ ... ـــــــتُ لهـــا أخـــرَى جَدِيـــدَه

حيث قام باستعطاف(الخيزران)، لإعطاءه جارية ، ودخل في موضوعه وهو هجاء زوجته .

ومنها أيضًا قوله[٢]:

أدعُوكَ بالرَّحِمِ التي هِـــيَ جَمَّعَـــت ... في القُربِ بـــين قَرِيبِنَـــا والأَبعَـــدِ
إلَّا سَمِعتَ وَأَنتَ أكرَمُ مَـــن مَشَـــى ... مِن مُنشِدٍ يَرجـــو جَـــزَاءَ المُنشِـــدِ

حيث قام باستعطاف الخليفة المهدي لإعطائه جائزة جزاء لصيامه، ثـــم قـــام بـــذكر معاناته مع شهر الصوم.

---

[١] السابق، ص٤٧.

[٢] السابق، ص٥٦-٥٧

ومنها أيضًا قوله [١]:

إذا جِئــتَ الأمِيــرَ فَقُــل سَــلامٌ عَلَيــكَ وَرَحمــةُ اللهِ الــرَّحِيمِ

حيث قام باستعطاف سعيد بن دعلج مولى بني تميم لإعطائه مال يسد به حق الغريم ثم دخل فهجى الغريم.

ومنها أيضًا قوله[٢]:

خافي إلهَكِ في نَفسٍ قَدِ احتَضَرَت قامَــت قِيَامَتُهــا بَــينَ المُصَــلِّينا

حيث قام باستعطاف ريطة زوجة المهدي لتشفع له عند المهدي ، ليعفيه مــن قيام ليل رمضان ثم قام بهجاء ليلة القدر وذمها.

ومنها قوله يلوذ بها أيضًا[٣]:

أبلِغــــا رَيطَــــةَ أنّــــي كُنــــتُ عَبــــداً لأبيهــــا

فَمَضَــــى يَرحَمُــــهُ الله وَأَوصَــــى بــــي إلَيهَــــا

وأُرَاهــــا نَسِــــيَتنِي مِثــــلَ نِســــيَانِ أخيهــــا

وقال أيضًا[٤]:

يا أيُّها النَّاسُ قُولوا أجمَعِين معــاً صلَّى الإلهُ على مُوسى بــن دَاودِ

كأنّ دِيباجَتَي خَدَّيــهِ مِــن ذَهَــبٍ إذا تَشَرَّفَ فــي أثوابِــهِ السُّــودِ

أمّا أبُوكَ فَعَــينُ الجُــودِ نَعرِفُــهُ وأنتَ أشــبَهُ خَلــق اللهِ بــالجودِ

نُبّئتُ أنَّ طَرِيقَ الحَــجِّ مَعطشَــةٌ مِنَ الطِّلاءِ وَمَا شُــربي بِتَصــرِيدِ

قام باستعطاف موسى بن داود ابن عم جعفر المنصور ، لكي لا يذهب معــه للحج، ثم قام بهجاء نفسه.

---

[١] السابق، ص١١٤.

[٢] السابق، ص١١٧.

[٣] السابق، ص ١٢١-١٢٢.

[٤] السابق، ص ٥٨-٥٩.

قصائد دون مقدمات:

وقد ذكر ابن رشيق في العمدة: " ومن الشعراء من لا يجعل لكلامه بسطًا من النسيب، بل يدخل على ما يريده مكافحة، ويتناوله مصافحة، وهو عندهم البتر، والوثب، والقطع."[١].

ولم يجعل أبو دلامة لبعض قصائده ومقطوعاته مطلع، وإنما دخل مباشرةً في موضوعه مثل قوله[٢]:

وكُنَّا بالخَلِيفَةِ قَد عَقَدنا ... لِواءَ الأمرِ فَانتَقَضَ اللِّواءُ

فَنَحنُ رَعِيَّةٌ هَلَكَت ضَيَاعا ... تَسُوقُ بِنَا إلى الفِتَنِ الرُّعَاءُ

في ظاهره رثاء للسفاح، وفي باطنه هجاء للمنصور.

ومثل قوله أيضًا في هجاء بغلته[٣]:

أبعِدتِ مِن بَغلَةٍ مُوَاكِلَةٍ ... تَرمَحُنِي تَارَةً وَتَقمُصُ بِي

تَكَادُ عِند المَسِيرِ تَقطَعُنِي ... رَاكِبُهَا رَاكِبٌ عَلَى قَتَبِ

إن قُمتُ عند الإسرَاجِ أثفِرُهَا ... تَطرِفُ مِنِّي العَينَينِ بالذَّنَبِ

وعِندَ شَدِّ الحِزامِ تَنهشُنِي ... مَانِعَةً لِلِّجَامِ واللَّبَبِ

ومثل قوله في هجاء والدته[٤]:

هاتِيكَ والِدَتِي عَجُوزٌ هِمَّةٌ ... مِثلُ البليَّةِ دِرعُها فِي المِشجَبِ

مَهزُولَةُ اللَّحيَينِ مِن يَرَهَا يَقُل ... أبصَرتُ غُولاً أو خَيَالَ القُطرُبِ

ما إن تَرَكتُ لهَا ولا لابنٍ لهَا ... مَالاً يُؤَمَّلُ غَيرَ بَكرٍ أجرَبِ

---

[١] العمدة، ابن رشيق، ج١، ص٢٣١.

[٢] ديوان أبي دلامة، اميل يعقوب ، ص٢٩.

[٣] السابق، ص٣٥.

[٤] السابق، ص٣٥.

ومثل قوله في هجاء نفسه[١]

إنّي أَعُــوذُ بِــرَوحٍ أن يُقَــدّمَنِي ... إلى البِرازِ فَتَخزَى بي بَنُــو أَسَــدِ
إنّ البِرَازَ إلــى الأقــرَانِ أعلَمُــهُ ... مِمَّا يُفرّقُ بَينَ الــرُّوحِ والجَسَــدِ
قَد حالَفَتكَ المَنَايَا إذ صَمَدتَ لَهــا ... وأَصبَحتَ لِجَمِيعِ الخَلقِ بالرَّصَــدِ
إنَّ المُهَلَّبَ حُبَّ المَــوتِ أَورَثَكُــم ... وَمَا وَرِثتُ اختِيارَ المَوتِ عَن أحَدِ

ومثل قوله في هجاء العباس–أخو أبو جعفر المنصور–[٢]:

أخطَاكَ ما كنتَ تَرجُــوهُ وتَأمُلُــه ... فاغسِل يَدَيكَ مِنَ العبَّاسِ بالياسِ
واغسِل يَــدَيكَ بِأشــنَانٍ فَأَنقِهِمَــا ... مِمَّا تُؤَمِّلُ مِن مَعــرُوفِ عبّــاسِ
رَبُّكَ يا عَبَّاسُ عَن فَــرَجٍ جَــزَاكَ ... جَنَّاتِ عَدنٍ وعَنِّــي جُرزَتَــي آسِ

ومثل قوله في هجاء المنصور[٣]:

وكُنَّــا نُرَجِّــي مِــن إمــامٍ زيــادَةً ... فَزَادَ الإمامُ المُصطَفَى في القلانِــسِ
تَرَاها عَلَى هَــامِ الرِّجــالِ كأَنَّهــا ... دِنَــانُ يَهُــودٍ جُلِّلَــت بــالبَرانِسِ

ومثل قوله في هجاء بغلته[٤]:

أبَعــدَ الخَيــلِ أركَبُهــا كرامًــا ... وبَعدَ الغُــرِ مِــن حُضــرِ البِغــالِ
رُزِقــتُ بُغَيلَــةً فيهــا وكَــالٌ ... وَخَيــرُ خِصَــالِها فَــرطُ الوكَــالِ
رَأيتُ عُيُوبَهــا كَثُــرَت وَعَالَــت ... وَلَــو أفنَيــتُ مُجتَهِــداً مَقَــالي
ليُحصَى مَنطِقِــي وَكَــلامُ غَيــرِي ... عُشَيرَ خِصَــالِها شَــرَّ الخِصَــالِ

---

[١] السابق، ص٥٤–٥٥.
[٢] السابق، ص٧٣.
[٣] السابق، ص٧٥.
[٤] السابق، ص٩٤.

وقوله في هجاء فيل[١]:

يا قومُ إنّي رَأيتُ الفِيلَ بَعدَكُمُ ... لا بَارَكَ اللهُ لي في رُؤيَـةِ الفِيـلِ

أبصَرتُ قَصراً له عَينٌ يُقَلِّبُها ... فَكِدتُ أرمي بِسِلَحي في سَـرَاوِيلي

وقوله في هجاء نفسه[٢]:

ألا أبلـــغ لَـــدَيكَ أبَـــا دُلامَـــه ... فَلَـــيسَ مِـــنَ الكِـــرامِ وَلا كَرَامَـــه

إذا لَـــبِسَ العِمَامَـــةَ كَـــانَ قِـــرداً ... وَخِنزِيـــراً إذا نَـــزَعَ العِمَامَـــه

وقوله في هجاء نفسه[٣]:

ألا لا تَلُمنِـــي إن فـــررتُ فَـــإنَّنِي ... أخَافُ على فَخَّـــارَتي أن تَحَطَّمَـــا

فَلَو أنَّنيُ في السوق أبتَاع مِثلَهـــا ... وَجَـــدِّكَ مـــا بَالَيـــتُ أن أتَقَـــدَّما

وَأيـــتمُ أَولاداً وأُرمِـــلُ نِســـوَةً ... فَكَيفَ على هـــذا تَـــرَونَ التَّقَـــدُّما

وَلَو كان لي نَفسَانِ كُنـــتُ مُقَـــاتِلاً ... بإحداهُما حتّـــى تَمُـــوتَ فأســـلَمَا

وقوله في هجاء بنته[٤]:

بَلَـــتِ عَلَـــيَّ لا حُيِّيـــتِ ثـــوبي ... فَبَـــالَ عليـــكِ شَـــيطانٌ رَجِـــيمُ

فَمـــا وَلَـــدَتكِ مَـــريَمُ أُمُّ عِيســـى ... ولا رَبَّـــاكِ لُقمـــانُ الحَكِـــيمُ

ولكِـــن قـــد ولـــدتِ لأمِّ سُـــوءٍ ... يَقُـــومُ بأمرِهـــا بَعـــلٌ لَئـــيمُ

- **حسن التخلص عند أبي دلامة:**

تتسم القصيدة العربية منذ الجاهلية بتعدد موضوعاتها، فالقصيدة الواحدة تتناول عدة موضوعات، من فخر وهجاء وغزل، فهذه السمة جعلت الشاعر يحتاج لشـــيء يمزج تلك الأغراض مع بعضها البعض، دون إحداث تفكك فـــي تركيـــب الأفكـــار المكوِّنه للقصيدة لدى المتلقين، فمن ذلك أتى مصطلح الخروج أو التخلص.

---

[١] السابق، ص١٠٨.

[٢] السابق، ص١٠٩- ١١٠.

[٣] السابق، ص١١١.

[٤] السابق، ص١١٢.

لذلك كان رأي أغلب النقَّاد إلزام الشعراء المحدثين بذلك، فقد اهتموا بالشكل والدقة في التخلص والخروج من فكرة لفكرة، تُشعر المستمع بتماسك الأجزاء والتحامها ، لا بوجود حواجز فاصلة بينها ، فمن ذلك أتت العناية بالخروج من المقدمة إلى الموضوع الأساسي، مع اشتراط الدقة في ذلك[١].

ولابن رشيق تعريفًا خاصًا به للتخلص ، حيث يقول: " والخروج إنما هو أن تخرج من النسيب إلى المدح، أو غيره بلطف تحيل، ثم تتمادى فيما خرجت إليه"[٢]، " ومن الناس من يسمي الخروج توسلًا، وتخلصًا"[٣].

وهو امتزاج آخر ما يقدمه الشاعر على المدح من فخر أو نسب أو أدب أو وصف أو زهد أو مجون، أو غير ذلك بأول بيت من المدح، ويسمى معرفة الفصل من الوصل، وهو دقيق يخفى على غير الحذَّاق من أصحاب النقد.[٤]

ويحدد حازم القرطاجني الأمور التي يجب اعتمادها في التخلص بقوله: " والأمور التي يجب اعتمادها في التخلص هي التحرز من التضمين، ومن انقطاع الكلام، والإخلال، والحشو، وقلة تمكن القافية واضطراب الكلام، والنقلة بغير لطف، والاضطرار في ذلك إلى الكناية عمَّا يجب الإبانة عنه، والتصريح به "[١].

فقد أبدع أبو دلامة في الانتقال من غرض إلى آخر ، في شعر الهجاء ابداعًا يجعل القارئ لا يشعر بدخوله في الهجاء، ومن ذلك تخلصه في مقطوعته التي هجا

---

[١] بناء القصيدة في النقد العربي القديم(في ضوء النقد الحديث)، يوسف بكار، دار الأندلس، بيروت، ط٢، ص٢٢١.

[٢] العمدة، ابن رشيق، ج١، ص٢٣٤.

[٣] السابق، ج١، ص٢٣٦.

[٤] تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان اعجاز القرآن، ابن أبي الصبع المصري، ت: حفني محمد شرف، الكتاب الثاني، القاهرة، ص٤٣٣.

[١] منهاج البلغاء وسراج الأدباء، أبي الحسن حازم القرطاجني، تقديم وتحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، ص٣٢١.

بها شهر الصوم، وذكر معاناته مع الصيام، فقد تخلَّص من مدح الخليفة المهدي واستعطافه إلى أن وصل إلى غرضه الأساسي ألا وهو هجاء شهر رمضان، فقال[٢]:

أدعُوكَ بالرَّحِم التي هِيَ جَمَّعَت ... في القُربِ بين قَرِيبِنَا والأَبعَدِ
إلَّا سَمِعتَ وَأَنتَ أكرَمُ مَن مَشَى ... مِن مُنشِدٍ يَرجُو جَزَاءَ المُنشِدِ
جَاءَ الصِّيامُ فَصُمتُهُ مُتَعَبِّداً ... أرجُو رَجَاءَ الصَّائمِ المُتَعَبِّدِ
ولَقِيتُ مِن أمرِ الصِّيَامِ وحَرِّهِ ... أمرَينِ قِيسَا بالعَذَابِ المُؤصَدِ
وَسَجَدتُ حَتَّى جَبهَتِي مَشجُوجَةٌ ... مِمَّا يُنَاطِعُنِي الحَصَا فِي المَسجِدِ
فامنُن بِتَسرِيحي بِمَطلِكَ بالذي ... أسلَفتنِيهِ مِنَ البَلاءِ المُرصَدِ

ومن جيد تخلصه مقطوعته التي مطلعها:[٣]

يا أيُّها النَّاسُ قُولوا أجمَعِين معاً ... صلَّى الإلهُ على مُوسى بن دَاودِ
كأنّ دِيباجَتَي خَدَّيهِ مِن ذَهَبٍ ... إذا تَشَرَّفَ في أثوابِهِ السُّودِ
أمّا أبُوكَ فَعَينُ الجُودِ نَعرِفُهُ ... وأنتَ أشبَهُ خَلقِ اللهِ بالجودِ
نُبِّئتُ أنَّ طَرِيقَ الحَجِّ مَعطشَةٌ ... مِنَ الطِّلاءِ وَمَا شُربي بِتَصرِيدِ
واللهِ ما بيَ مِن خَيرٍ فَتَطلُبُنِي ... في المُسلِمينَ وَمَا دِيني بِمَحمُودِ
إنِّي أَعُوذُ بِداودٍ وتُربَتِهِ ... مِن أن أَحُجَّ بِكُرهٍ يا ابنَ دَاودِ

فبينما يمدح موسى ابن داود إذ به يدخل في هجاء ركن الحج، ويهجو نفسه، دون إحداث أي أثر .

---

[٢] ديوان أبي دلامة، اميل بديع يعقوب، ص٥٦-٥٧.

[٣] السابق، ص٥٨- ٥٩.

أما قصيدته " فقد أجاد فيها التخلص إجادة تجعل القارئ لا يدري أنَّ الشاعر تخلص من النسيب إلى هجاء زوجته بقوله:[١]

إنَّ الخَليطَ أجَدَّ البَينَ فانتَجعُوا ... يومَ الوَدَاعِ فما جَاؤُوا ومَا رَتَعُوا

واللهُ يعلَمُ أن كادَت لِبَينِهِمُ ... يومَ الفِراق حَصَاةُ القَلبِ تَنصَدِعُ

عَجِبتُ مِن صِبيَتي يوماً وأُمِّهِمُ ... أمِّ الدُلامَةِ لمّا هَاجَها الجَزَعُ

لا بارِكَ اللهُ فيها مِن مُنَبِّهَةٍ ... هبَّت تلُوم عِيَالي بَعدَما هَجَعُوا

ونَحنُ مُشتَبِهُوا الألوانِ أَوجُهُنَا ... سُودٌ قِبَاحٌ وفي أسمائِنا شَنَعُ

أذابَكَ الجُوعُ مُذ صَارَت عِيَالَتُنَا ... على الخَلِيفَةِ مِنهُ الرِّيُّ والشَّبَعُ

لا والَّذي يا أميرَ المُؤمِنينَ قَضَى ... لَكَ الخِلافَةَ في أسبَابِها الرَّفَعُ

ما زِلتُ أُخلِصُها كَسبِي فَتَأكلُهُ ... دُوني وَدُونَ عِيالِي ثمَّ تَضطَجِعُ

شَوهاءُ مَشنأةٌ في بَطنِها ثَجَلٌ ... وفي المَفَاصِلِ من أوصالها فَدَعُ

ذكّرتها بِكِتابِ اللهِ حُرمَتنا ... ولم تكن بِكِتابِ اللهِ تَنتَفِعُ

فاخرَنطَمَت ثمّ قالَت وهي مُغضَبَةٌ ... أَأَنتَ تَتلو كِتابَ اللهِ يا لُكَعُ

اخرُج لِتَبغِ لنا مالاً ومَزرَعَةً ... كَمَا لِجيرانِنا مَالٌ ومُزدَرَعُ

واخدَع خَلِيفَتَنَا عَنها بِمسألَةٍ ... إنّ الخَلِيفَةَ لِلسُّؤال يَنخَدِعُ

- **الخاتمة والمقطع عند أبي دلامة:**

إذا اهتم الشاعر بافتتاحية قصيدته، وكذلك بحسن تخلصه إلى موضوعه منها، فلابد له أن يعتني بخاتمة قصيدته لتكون القصيدة مترابطة الأفكار، ومنسجمة مع بعضها البعض، لتكون كيان واحد ووحدة واحدة.

---

[١] السابق، ص٧٨-٧٩.

وقد اهتم النقاد قديمًا بخاتمة القصيدة، ومنهم ابن رشيق الذي يقول في ذلك: " وأما الانتهاء فهو قاعدة القصيدة، وآخر ما يبقى منها في الأسماع، وسبيله أن يكون محكمًا، لا يأتي بعده أحسن منه، ولا تمكن الزيادة عليه وإذا كان أول الشعر مفتاحًا له ، لابد أن يكون الآخر قفلًا عليه".(١)

وقال حازم القرطاجني في شأن خاتمة القصيدة : " فأمَّا الاختتام فلابد أن يكون بمعان سارة قصد بها المديح، والتهاني، وبمعانٍ مؤسية فيما قصد به الرثاء، والتعازي، وكذلك يكون الاختتام في كل موضوع بما يناسبه، ولابد أن يكون اللفظ مستعذبًا، والتأليف متناسبًا جزلًا ، فإنَّ النفس عند منقطع الكلام تكون متفرغة، لتفقد ما وقع فيه، غير مشغولة باستئناف شيء آخر."(٢)

وقال ابو الاصبع في باب حسن الخاتمة: " يجب على الناثر، والشاعر أن يختما كلامهما بأحسن خاتمة لأنها آخر ما يبقى في الأسماع، ولأنها حُفظت من دون باقي الكلام في أغلب الأحوال، فلابد من الاجتهاد في نضجها، ورشاقتها، وجزالتها، وحلاوتها."(٣)

ويقول عبدالله الطيب في شأن الخاتمة:" شأن المقاطع، والنهاية يقرب من أمر المطالع، والبداية وذلك لأنه كما تلتمس روعة المطلع ، ليقرع الأسماع ، كذلك يلتمس حسن المقاطع ، وذلك ليكون مؤذنًا بالخواتيم."(٤)

ويقول أبو هلال العسكري معلقًا على ذلك:" فلابد أن يكون آخر بيت في قصيدتك أجود، وأحسن بيت فيها، وأدخل في المعنى الذي قصدت في نظمها له".(٥)

---

(١) العمدة، ابن رشيق، ج١، ص٢٣٩.

(٢) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، أبو الحسن حازم القرطاجني، ص٣٠٦.

(٣) تحرير التحبير، أبو الاصبع المصري، ص٦١٦.

(٤) المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، عبدالله الطيب، ط١(١٤١٠هـ - ١٩٩٠م)، الكويت، ج٤، القسم الأول في الأغراض والأساليب، ص١٤٥.

(٥) الصناعتين، أبو هلال العسكري، ص٤٤٣.

وقد فعل أبو دلامة هذا الصنيع في شعر الهجاء، فجاءت خواتيم قصائده ومقطوعاته مناسبة مع الغرض الأساسي ألا وهو الهجاء، ومن هذه المقاطع الجميلة التي تدل على نهاية القصيدة، وتُبقي أثرها في النفس قوله في هجاء أمه، مستعطفًا الخليفة أبو جعفر المنصور: [٣]

لا يَسأَلُونَكَ غَيرَ طَلِّ سَحَابَةٍ تَغشَاهُمُ مِن سَيلِكَ المُتَحَلِّبِ

يا بَاذِلَ الخَيرَاتِ يا ابنَ بَذُولِها وَابنَ الكِرَامِ وكُلَّ قَومٍ مُنجِبِ

أنتُم بَنُو العَبَّاسِ يُعلَمُ أنّكُم قِدماً فَوَارِسُ كُلِّ يَومٍ أشهَبِ

أحلاسُ خَيلِ اللهِ وَهيَ مُغِيرَةٌ يَخرُجنَ مِن خَلَلِ الغُبَارِ الأكهَبِ

فتدرجت هذه الأبيات حتى وصلت إلى أقصاها، حيث إن من الصعب إضافة بيت على هذه الأبيات، ولو حدثت الإضافة لأصبح المعنى ركيكًا.

ومثل قوله أيضًا في هجاء زوجته، حيث أتت الخاتمة منسجمة مع الموضوع أشد الانسجام:[١]

مَا حَيَاةٌ مَعَ أُنثَى مِثلَ عِرسِي بِسَعِيدَه

فقالها مستعطفًا الخيزران – زوجة المهدي- لتعطيه جارية.

ومثل قوله:[٢]

فامنُن بِتَسرِيحي بِمَطلِكَ بالذي أسلَفتنِيهِ مِنَ البَلاءِ المُرصَدِ

فلقد أتت هذه الخاتمة ملائمة للغرض الأساسي للمقطوعة ألا وهو ذكر ما يعانيه الشاعر من أمر الصلاة والصيام، مستهونًا بالفريضتين، مستعطفًا بذلك الخليفة وأتت الخاتمة مثل افتتاحية المقطوعة، ألا وهي استعطاف الخليفة .

---

[٣] ديوان أبي دلامة، اميل بديع يعقوب، ص٣٧.

[١] السابق، ص٤٩.

[٢] السابق، ص٤٩.

ومثل قوله:[٣]

إنّـــي أَعُـــوذُ بِـــداودٍ وتُربتِـــهِ مِن أن أَحُجَّ بِكُرهٍ يـــا ابـــنَ دَاودِ

فقالها مستعطفًا موسى بن داود لإعافئه من فريضة الحج، وربما أراد أن تكون دعواه هذه محل إجابة وحاضرة في ذهن موسى بن داود، فختم بها هذه القصيدة.

ومثل قوله في هجاء بغلته[٤]:

فَأبـــدِلني بهـــا يـــا رَبُّ بَغـــلاً يَـــزِينُ جَمَـــالُ مَركَبِـــهِ جَمَـــالي

كَريمـــاً حـــينَ يُنسَـــبُ وَالِـــداهُ إلى كَرَمِ المَنَاسِـــبِ فـــي البِغـــالِ

فبعد أن هجا بغلته بأبشع الصفات وأقبحها ، فقام بدعاء ربه بأن يبدله ربه بغلًا بـــدلًا منها، في خاتمة القصيدة، فكانت خاتمة مناسبة لموضوع القصيدة.

ومثل قوله في هجاء شهر الصوم، مستعطفًا ريطة- زوجة المهدي- أن تكلم له الخليفة بأن يعفيه من قيام ليلة القدر، وأتت هذه الخاتمة مناسبة للمقدمة وموضـــوع القصيدة، فقال[١]:

فـــاطلُبِي لـــي فرجـــاً مِنـــــــ ـــــــهَا وأجـــرِي لـــكِ فيهـــا

ومثل قوله أيضًا ، راجيًا بذلك الخليفة، بأن يعطيه الخير ، وأن يعفو عنه فقال[٢]:

وقـــد كانـــت تخبرنـــي ذنـــوبي بأني مـــن عقابـــك غيـــر نـــاجي

علـــى أنـــي وإن لاقيـــت شـــراً لخيرك بعـــد ذاك الشـــر راجـــي

---

[٣] السابق، ٥٩.

[٤] السابق، ص١٠٦.

[١] السابق، ص١٢٣.

[٢] السابق، ص١٣١.

الخاتمة:

أهم النتائج التي توصلت إليها:

- قد سلك أبو دلامة في افتتاح وبناء شعر الهجاء عنده، طرقًا مختلفة جاءت في بعضها متناسبة مع طبيعة الموضوع الشعري، وتراوحت مقدماته بين ما هو في الغزل، والخمر، والمدح والاستعطاف، ومن قصائده لم يكن لها مقدمات، ولكنه دخل في الموضوع مباشرة.
- أبدع أبو دلامة في الانتقال من غرض إلى آخر ، في شعر الهجـــاء ابـــداعًا يجعل القارئ لا يشعر بدخوله في غرض الهجاء.
- اعتنى أبو دلامة بخاتمة قصيدته لتكون القصيدة مترابطة الأفكار، ومنســـجمة مع بعضها البعض، وذلك لتكون كيان واحد ووحدة واحدة، فجاءت خـــواتيم قصائده ومقطوعاته مناسبة مع الغرض الأساسي ألا وهو الهجاء.

قائمة المصادر والمراجع:

١- اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، محمد مصطفى هدارة، دار المعارف، القاهرة.

٢- اتجاهات الهجاء في القرن الثالث الهجري ، قحطان رشيد التميمي ، دار المسيرة، بيروت.

٣- بناء القصيدة في النقد العربي القديم(في ضوء النقد الحديث)، يوسف بكار، دار الأندلس، بيروت، ط٢.

٤- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان اعجاز القرآن، ابن أبي الصبع المصري، ت: حفني محمد شرف، الكتاب الثاني، القاهرة.

٥- ديوان أبي دلامة، إميل بديع يعقوب، دار الجيل، بيروت، ط١(١٩٩٤م).

٦- الشعر والشعراء، ابن قتيبة، ت: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، ط٢.

٧- الصناعتين، أبو هلال العسكري، ت: علي البجاوي، محمد أبو الفضل ابراهيم، ط١(١٣٧١هـ - ١٩٥٢م).

٨- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني، ت: محمد محي الدين، ، دار الجيل، ط٥(١٤٠١ه- ١٩٨١م).

٩- في الأدب العباسي الرؤية والفن، عز الدين إسماعيل، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت.

١٠- في الشعر الإسلامي والأموي، عبدالقادر القط، دار النهضة العربية، بيروت، ط (١٤٠٧ه- ١٩٨٧م).

١١- المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، عبدالله الطيب، ط١(١٤١٠هـ - ١٩٩٠م)، الكويت، ج٤، القسم الأول في الأغراض والأساليب.

١٢- مقدمة القصيدة العربية في العصر العباسي الأول، حسين عطوان، دار المعارف، مصر.

١٣- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، أبي الحسن حازم القرطاجني، تقديم وتحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي.

١٤- الهجاء في الشعر العربي الأندلسي، نافع عبدالله، ط١(١٩٨٤م).

١٥- الهجاء والهجاءون في صدر الإسلام، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت.

١٦- الوساطة، القاضي الجرجاني، ت: محمد أبو الفضل، علي البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.